Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينقل لنا ما شاهدته وأبصرته عيناه : « في تلك اللحظة كنت أعلم أنه عائد من المستحيل ورأيتها ، هي ، مستقرة في أعماق ذاتها ، جامدة جمود الخائر . رأيت الحب جثة مدفونة في مقلتيها ويعلوهما برد وصقيع كبرد الصباح ، وشفافية تكشف لي حضور الموت . الكل كان نسيجاً متداخلاً في هذه النظرة : الأجساد العارية ، ارتعاشة الألم الذي يخترقني ، ذكرى الرضاب المتدفق من الشفاه . كل العناصر كانت متضافرة ومتآزرة فيما بينها لتشرف وتتدحرج تدحرجاً أعمى في العدم » .

* * *

تلك نهاية مقطع من مقاطع كتاب باتاي السيدة « ادواردا » . إنه ، كذلك السارد في بداية هذه القصة (قصة السيدة ادواردا) وقد خنقه الألم وحاصرته الأسئلة دون أن يجد لذلك حلولاً وأجوبة شافية . إلا أنه الآن متأكد كل التأكد من هذه الحقيقة التي لامسها وعاينها : إن الموت يقبع في قلب الحياة ، وإنه ليمكن له أن يلمح آثاره واضحة كلما حصلت تلك اللحظات الفريدة التي تتيحها لنا تجربة الجنس والعشق لتختبرها . ذلك هو الشيء الأساسي بالنسبة إلى جورج باتاي أي أن يكون قادراً على تحسيسنا بهذه التجربة التي لا تستطيع اللغة أن تنقلها لنا . أي يكون قادراً . ولو بطريقة إيحائية وغير مباشرة على إشعار القارىء بتجربة الموت ، تلك التجربة التي تعجز اللغة عن إيصالها وآدائها .

إن الآثار الأدبية لباتاي تحوم ، دائماً ، حول هذا الهاجس الأوحد . فالموت بالنسبة إليه ، يستقر ويقبع ويسكن في كل شيء وحسب أشكال وتلاوين مختلفة : عنيفة وهاجعة / ومتأنية / عادية وغير مترقبة ، كالحرب ، والتضحية والانتحار والتعذيب الخ . . وكأننا بباتاي مولع بجمع كل مظاهر الموت وأشكاله كما يهوى طفل جمع الطوابع البريدية . هذا الموت الذي يعمل دون راحة أسبوعية . ولكن باتاي ليس ساذجاً أو غبياً فهو وإن يريد أن يحوصل جميع الأقنعة التي يتخذها الموت لا يرتجي من ذلك أن يكون فيلسوف العدم أو منظر الموت . . فهو لا يفتأ يذكر عبر آثاره كلها بأن الموت ظاهرة وخصوصاً تجربة لا تنتمي إلى الحقول المعرفية التي تعتمد الوعي واللغة والتواصل . بل